(٥٨٦)

(السيد يَحْيَى بن مُحمَّد الحُوثي ثم الصَّنعاني)

ولد تقريباً سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف أو قبلها بيسير أو بعدها بيسير، ونشأ بصنعاء، فاشتغل بعلم الفرائض والحساب والضرب والمساحة ففاق في ذلك أهل عصره، وتفرَّد به ولم يشاركه فيه أحد، وصار الناس عيالاً عليه في ذلك، ولم يكن له بغير هذا العلم إلمام مع أنه قد توجَّه إلى الطلب، ولكن كان كلّ حَظِّه في هذا العلم. وهو رجلٌ خاشعٌ متواضعٌ كثير الأذكار سليم الصدر إلى غاية يعتريه في بعض الأحوال حدّة مفرطة. وكان قد حصل معه جنون في أيام شبابه ثم عافاه اللَّه من ذلك، وما زال مواظباً علي الخير لكنه قليل ذات اليد بما يضيق صدره لذلك مع كثرة عائلته. ويسَّر اللَّه له ما يقوم به بعد مزيد امتحان. وهو شيخي، أخذت عنه علم الفرائض والوصايا والضرب والمساحة.

وفي ليلة رابع عشر شهر رمضان سنة (١٢١٦) ثارت بسببه فتنة عظيمة بصنعاء وذلك أن بعض أهل الدولة ممن يتظهر بالتشيع مع الجهل المفرط والرفض باطناً أقعد صاحب الترجمة على الكرسي الذي يقعد عليه أكابرُ العلماءِ المتصدرين للوعظ، وأمره أن يملي على العامة كتاب (تفريج الكروب) للسيد إسْحَاق بن يُوسُف المتوكّل المتقدم ذكره، وهو في مناقب عليّ كرَّم اللَّه وجهه، ولكن لم يتوقف صاحب الترجمة على ما فيه بل جاوز ذلك إلى سبِّ بعض السلف مطابقة لغرض من حمله على ذلك لقصد الإغاظة لبعض أهل الدولة المنتسبين إلى بني أمية، كل ذلك لما بين الرجلين من المنافسة على الدنيا والمهافتة على القرب من الدولة، وعلى جمع الحطام، فكان صاحب الترجمة يصرخ باللعن على الكرسي فيصرخ معه من يحضر لديه من العامة، وهم جمع جمٌّ وسبب حضورهم هو النظر إلى ما كان يسرج من الشمع، وإلى الكرسي لبعد عهدهم به، وليسوا ممن يرغب في العلم، فكان يرتج الجامع ويكثر الرهج، ويرتفع الصراخ. ومع هذا فصاحب الترجمة لا يفهم ما في الكتاب لفظاً ولا معنى، بل يصحف تصحيفاً كثيراً ويلحن لحناً فاحشاً ويعبر بالعبارات التي يعتادها العامة، ويتحاورون بها في الأسواق. وقد كان في سائر الأيام يجتمع معهم ويملي عليهم على الصفة التي قدمنا ذكرها في مسجد الإمام صلاح الدين، فأراد أن يكون ذلك في جامع صنعاء الذي هو مجمع الناس ومحل العلماء والتعليم لقصد نشر اللعن والثلب والتظاهر به. فلما بلغ ذلك مولانا خليفة العصر حفظه اللَّه جعل إشارة منه إلى عامل الأوقاف السيد إسماعيل بن الحَسَن الشامي أنه يأمر صاحب الترجمة أن يرجع إلى مسجد صلاح الدين، فأمر السيد المذكور الفقيه أحمد بن مُحسن حاتم رئيس

المِئذنة أن يبلغ ذلك إلى صاحب الترجمة فأبلغه، فحضر العامة تلك الليلة على العادة ومعهم جماعة من الفقهاء الذين وقع الظلم بهذا الاسم بإطلاقه عليهم، فإنه أجهل من العامة، فلما لم يحضر صاحب الترجمة في الوقت المعتاد لذلك وهو قبل صلاة العشاء ثاروا في الجامع ورفعوا أصواتهم باللعن ومنعوا من إقامة صلاة العشاء ثم انضم إليهم من في نفسه دغل للدولة أو متستر بالرفض ثم اقتدى بهم سائر العامة فخرجوا من الجامع يصرخون في الشوارع بلعن الأموات والأحياء. وقد صاروا ألوفاً مؤلفة ثم قصدوا بيت الفقيه أحمد حاتم فرجموه، ثم بيت السيد إسماعيل بن الحَسَن الشامي فرجموه، وأفرطوا في ذلك حتى كسروا كثيراً من الطاقات ونحوها، وقصدوه إلى مدرسة الإمام شرف الدين يريدون قتله فنجَّاه اللَّه، وهرب من حيث لا يشعرون. وقد كانوا أيضاً قصدوا قتل الفقيه أحمد حاتم فهرب من الجامع إلى بيتي ونحن إذ ذاك نملي في شرحي للمنتقى مع حضور جماعة من العلماء. ثم بعد ذلك عزم هؤلاء العامة وقد تكاثف عددهم إلى بيت السيد علي بن إبراهيم الأمير المتقدم ذكره ورجموه وأفزعوا في هذه البيوت أطفالاً ونساءً وهتكوا حرماً. وكان السبب في رجمهم بيت السيد المذكور أنه كان في تلك الأيام يتصدّر للوعظ في الجامع، ولم يكن رافضياً لعَّاناً. ثم عزموا جميعاً وهم يصرخون إلى بيت الوزير الحَسَن بن عُثمان العلفي، وإلى بيت الوزير الحَسَن بن عَليّ حَنَش المتقدم ذكره، والبيتان متجاوران فرجموهما. وسبب رجم بيت الأول كونه أموي النسب، ورجم بيت الآخر كونه متظهراً بالسنة متبريّاً من الرفض. فأما بيت الفقيه حَسَن حَنَش فصعد جماعة من قرابته على سطحه ورجموهم حتى تفرقوا عنه، وأصابوا جماعة منهم. أما بيت الفقيه حَسَن بن عُثمان فرجموه رجماً شديداً واستمروا على ذلك نحو أربع ساعات حتى كادوا يهدمونه، وشرعوا في فتح أبوابه ووقع الرمي لهم بالبنادق فلم ينكفوا لكونه لم يظهر لذلك فيهم أثر، إذ المقصود بالرمي ليس إلّا مجرَّد الإفزاع لهم. ثم بعد ذلك غار بعض أولاد الخليفة حفظه اللَّه وبعض أصحابه فَكفُّوهم فانكفوا وقد فعلوا ما لا يفعله مؤمن ولا كافرٍ. وفي اليوم الآخر أرسل الخليفة حفظه اللَّه للوزير والأمراء وقد حصل الخوف العظيم من ثورة العامة، وطال التراود والمشاورة بينهم، ومن بعد ذلك أرسل لي حفظه اللَّه فوصلت إليه حفظه اللَّه فاستشارني فأشرت عليه أن الصواب المبادرة بحبس جماعة من المتصدرين في الجامع للتشويش على العوام وإيهامهم أن الناس فيهم من هو منحرف عن العترة، وأن التظاهر بما يتظاهرون به من اللعن ليس المقصود به إلّا إغاظة المنحرفين ونحو هذا من الخيالات التي لا حامل لهم عليها إلّا طلب المعاش والرياسة والتحبب إلى العامة. وكان من أشدهم في ذلك السيد إسماعيل بن عزّ الدين

النعمي فإنه كان رافضياً جلداً مع كونه جاهلاً جهلاً مركّباً، وفيه حدّة تفضي به إلى نوع من الجنون. وصار يجمع مؤلفات من كتب الرافضة ويمليها في الجامع على من هو أجهل منه، ويسعى في تفريق المسلمين ويوهمهم أن أكابر العلماء وأعيانهم ناصبة يبغضون علياً كرم اللَّه وجهه، بل جمع كتاباً يذكر فيه أعيان العلماء وينفر الناس عنهم، وتارة يسميهم سُنِّية، وتارة يسميهم ناصبة. ومع هذا فهو لا يدري بنحو ولا صرف ولا أصول ولا فروع ولا تفسير ولا حديث، بل هو كصاحبِ الترجمة في التعطل عن المعارف العلمية؛ لكن صاحب الترجمة يعرف فنّاً من فنون العلم كما قدمنا، وأما هذا فلا يعرف شيئاً إلّا مجرّد المطالعة لمؤلفات الرافضة الإمامية ونحوهم الذين هم أجهل منه. ويشبه الرجلين رجل آخر هو أحد عبيد مولانا الإمام حفظه اللَّه اسمه ضرغام رأس ماله الاطلاع على بعض كتب الرافضة المشتملة على السبّ للخلفاء وغيرهم من أكابر الصحابة، فصار هذا يقعد في الجامع ويملي سبّ الصحابة على من هو أجهل منه. فهذه الأمور هي سبب ما قدمنا ذكره. فلما أشرت على مولانا الإمام حفظه اللَّه بحبس هؤلاء وجماعة ممن يماثلهم حصل الاختلاف الطويل العريض في مقامه الشريف بين من حضر من أولاده ووزرائه، ومنشأ الخلاف أن من كان منهم مائلاً إلى الرفض وأهله فهو لا يريد هذا، ومن كان على خلاف ذلك فهو يعلم أنه الصواب، وأنها لا تندفع الفتنة إلّا بذلك، فصمَّم مولانا حفظه اللَّه على حبس من ذكر. ثم أشرت عليه حفظه اللَّه أن يتتبع من وقع منه الرجم ومن فعل تلك الأفاعيل فوقع البحث الكلّي منه ومن خواصّه، فمن تبيّن أنه منهم أودع الحبس والقيد. وما زال البحث بقية شهر رمضان حتى حصل في الحبس جماعة كثيرة. فلما كان رابع شوَّال طلب الإمام حفظه اللَّه الفقهاء المباشرين للرجم فبطحوا تحت طاقته وضربوا ضرباً مبرحاً ثم عادوا إلى الحبس. ثم طلب في اليوم الثاني سائر العامة من أهل صنعاء وغيرهم المباشرين للرجم ففعل بهم كما فعل بالأولين، وضربت المدافع على ظهور جماعة منهم. ثم بعد أيام جعلوا في سلاسل حديد وأرسل بجماعة منهم إلى حبس زيلع، وجماعة إلى حبس كمران، وفيهم ممن لم يباشر الرجم السيد إسماعيل بن عزّ الدين النعمي المتقدم، وسبب ذلك أنه جاوز الحد في التشديد في الغرض كما قدمنا. وأما صاحب الترجمة ومن شابهه في هذا المسلك فإنه حبس نحو شهرين، ثم أطلق هو ومن معه، وكذلك عامل الوقف السيد إسماعيل بن الحسن الشامي، والسيد عليّ بن إبراهيم الأمير، والفقيه أحمد حاتم فإنهم حبسوا مع الجماعة وأطلقوا معهم. وبالجملة فهذه فتنة وَقَى اللَّه شرّها بالحزم الواقع بعد أن وجلت القلوب وخاف الناس واشتد الخطب وعظم الكرب وشرحها يطول. وبعد هذه الواقعة

بنحو سنة عوّل صاحب الترجمة في أن يكون أحد أعوان الشرع، ومن جملة من يحضر لديّ، فأذنت له وصار يعتاش بما يحصل له من أجرة تحرير الورق، وذلك خير له مما كان فيه إن شاء اللَّه[١].

(٥٨٧)
(السيد العلَّامة يَحْيَى ابن مُطهّر بن إسْمَاعيل بن يَحْيَى بن الحُسَيْن ابن القَاسِم)[٢]

ولد في شهر جمادى الأولى سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف، وطلب العلم على جماعة من مشايخ صنعاء كالقاضي العلَّامة عبد اللَّه بن مُحمَّد مُشحم وطبقته. وله سماعات كثيرة وشغلة تامة بالعلم وتقيد بالدليل ومحبة للإنصاف، كما كان جدّ أبيه المذكور قريباً. وهو حال تحرير هذه الترجمة يقرأ عليَّ في العضد وحواشيه، وفي شرح التجريد للمؤيد باللَّه، وفي شرحي على المُنْتَقى، وفي مؤلفي المُسمَّى (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر)، وفي مؤلفي (المُسمَّى بالدّرر)، وشرحه المُسمَّى بالدراري، وفي الكشَّاف وحواشيه، وفتح الباري، والعواصم، وفي البُخاري، ومُسلم، والنسائي، وابن مَاجَه، والموطأ، وفي تفسيري للقرآن، وفي الرضي، وفي النحو، وفي المطول، وغير ذلك. وله قراءات عليّ في سنن أبي داود، والترمذي وغير ذلك. وله أبحاث ومسائل، وهو على منهج سلفه في البعد عن أعمال الدولة والتَّكفِّي بما خلفوه له، وهو الكثير الطيب. وفيه علوُّ همة ومكارم وسيادة، زاد اللَّه في الرجال من أمثاله. وفي كلِّ وقت يزداد علماً وفضلاً وحسن سمت ووقار، وهو الآن في عمل تراجم لأهل العصر، وقد رأيت بعضاً منها فوجدت ذلك فائقاً في بابه، مع عبارات رصينة ومعاني جيدة. وقد سألني بسؤالات، وأجبتُ عليها برسائل هي في مجموعات الفتاوى. وله جدول مفيد جداً، وأشعار فائقة ومعاني رائقة، ومكاتباته إليّ موجودة في مجموع الأشعار المكتوبة إليّ، ولولا ضيق المكان هنا لذكرت منها ما يشنف الأسماع ويروح الطباع. وإنْ مدَّ اللَّه في المدة فَسأُحرّر له ترجمةً مستوفاةً مطولةً، فهو حقيق بذلك[٣].

---

(١) وكانت وفاته سنة ١٢٤٧هـ.

(٢) ترجمته في: هدية العارفين: ٢/ ٥٣٥؛ الأعلام: ٨/ ١٧٢؛ معجم المؤلفين: ١٣/ ٢٣١.

(٣) وكانت وفاته سنة ١٢٦٨هـ.